المحاضرة السادسة: الاستهلاك

تعتبر ظاهرة الاستهلاك من الظواهر التي لا تقتصر على أبعادها الاقتصادية –إشباع حاجات الفرد من السلع والخدمات – لأنها تتبلور في صميم العمليات التي يفرزها المجتمع وحركته في مسيرة حياته وتغيره ونسق تطوره، كما أنها مرتبطة اشد الارتباط بتطورات الأفراد حول موضوع القيم والمفاهيم والممارسات السلوكية التي تحدد المكانة الاجتماعية للفئات في السلم الاجتماعي.

أولا: مفهوم الاستهلاك

لقد عرف مفهوم الاستهلاك تطورات نظرية هامة بفضل علماء الاقتصاد، وابرز من وظف هدا المصطلح في نظريته هو الاقتصادي الإنجليزي " كينز(J.M.Keynes)"، الذي وضع أسس النظام الاقتصادي الجديد بعد الأزمة الاقتصادية العالمية عام 1929 في كتابه المشهور" النظرية العامة للعمل والفائدة والنقود "حلل" كينز" فيها العلاقة بين إجمالي الاستهلاك للعائلات ومستوى الدخل الوطني في إطار خطته الرامية إلى تشغيل اليد العاملة بفضل إنعاش الاستثمار، وقد اتبع الاقتصاديون نهجه في دراساتهم من خلال التركيز على توزيع الدخل الوطني بين الاستهلاك من جهة وبين الادخار من جهة أخرى.

إن وضع تعريف محدد لمفهوم الاستهلاك نظريا يعتبر من الأمر الصعب نتيجة تداخل عناصر اقتصادية واجتماعية وثقافية في تحديده، فهو مفهوم له مدلول مستنبط من التجربة اليومية يقيسه الاقتصاديون من خلال نفقات الأسرة في شراء البضائع والحصول على الخدمات من خلال جداول تحتوي على مؤشرات الأنفاق في عدة جوانب من الاستعمالات اليومية مثل (الأكل والشرب، السكن، الكهرباء، الماء، التعليم والصحة...إلخ)، ويهتم الاقتصاديون بحدود الاستهلاك(نهائي أم وسيط)، وبالمستهلك أي المعني بالاستهلاك مثل الأسرة أو المؤسسة أو الإدارة.

فأولا نعطي المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستهلاك لأنه يوضح مدلوله:

- **من الجانب اللغوي لغة:** مصدر استهلك، يقال استهلك المال: أنفقه وأنفذه، وأهلك المال: باعه. واستهلك الرجل في كذا: أجهد نفسه فهو يعني النفاد والإنفاق وبذل الجهد والبيع.
- **واصطلاحا:** الاستخدام المباشر للسلع والخدمات التي تشبع رغبات الإنسان وحاجاته.

ثانيا: محددات الاستهلاك

يتأثر الاستهلاك كمتغير اجتماعي بالعوامل الاقتصادية قبل العوامل الاجتماعية ويمكن أن تؤدي العوامل الاقتصادية لذوبان العوامل الاجتماعية وأهم هذه العوامل:

1- المحددات الاقتصادية:

للاستهلاك مجموعة من المحددات الاقتصادية والمتمثلة في:

أ- مستوى الدخل:

يعتبر الدخل من أهم العناصر التي تؤثر على الاستهلاك، فإذا لم يتوفر للفرد أي دخل فإنه يضطر لإنفاق مدخراته أو الاستعانة بالآخرين وقد يضطر لبيع جزء من ثروته كالممتلكات العقارية وغيرها وبالتالي نعتبر العلاقة قوية بين الدخل والاستهلاك فكلما ازداد الدخل يزداد الاستهلاك.

ب-المستوى العام للأسعار:

يؤدي التضخم لارتفاع المستوى العام للأسعار وبالتالي تنخفض القوة الشرائية للدخل وينخفض الاستهلاك، فالدخل الذي كان يحقق لصاحبه شراء 100 سلعة وخدمة فإنه بعد ارتفاع الأسعار لن يستطيع شراء نفس الكمية من السلع والخدمات لذلك سوف يضحي بالادخار وإذا كان الارتفاع شديدًا سوف ينخفض استهلاك الفرد أو قد يلجأ لبيع جزء من ممتلكاته العقارية لمواجهة هذه الظروف فالأسعار تؤثر على الاستهلاك وعادة ما تحدد الدول والحكومات مستويات الأجور عند مستويات الأسعار وبالتالي فإن ارتفاع السعر سوف يدفع الحكومات لرفع مستوى الدخول بهدف الحفاظ على مستوى مستقر من الاستهلاك للأفراد.

ج-سعر الفائدة:

إن المتغير الإقتصادي الذي يوفق ويربط بين المقرضين والمقترضين في علاقات تمويلية هو سعر الفائدة، فهو يعتبر السعر الذي يدفعه المقترض لقاء استخدامه الأموال المقترضة لفترة زمنية معينة يتفق عليها أي سعر الائتمان، فمن وجهة نظر المقترض يعتبر سعر الفائدة عائدًا للأموال المستثمرة ومن وجهة نظر المقترض هو تكلفة لها وإذا ما احتفظ الأفراد بالأموال فإن سعر الفائدة هو تكلفة الفرصة البديلة أي مقدار التضحية.

د- تشكيلة السلع والخدمات:

يتصرف المستهلك بدخله استنادًا لما يشاهده من سلع وخدمات، فإذا ازداد الدخل ولم يجد المستهلك عرضًا وفيرًا من السلع والخدمات بأنه يضطر للادخار لذلك يتأثر الاستهلاك بالعرض، والعرض يتأثر بدوره بالاستثمار ورأس المال وقوة العمل وتوفر المواد الأولية وغيرها وبشكل عام فإن القدرة الإنتاجية أو الطاقة الإنتاجية للاقتصاد الوطني تؤثر على الطلب الكلي وعلى الاستهلاك فكلما ازداد الاستثمار وتوفرت تشكيلة واسعة من السلع والخدمات يصبح المجال واسعًا لاستهلاك جديد.

2- المحددات الاجتماعية:

لقد ارتبط الاستهلاك تاريخيًا بالعادات والتقاليد الشعبية والثقافية العامة والدين والتراث، فظهرت الأمثال الشعبية التي تحض على الادخار وتأجيل الاستهلاك مثلا(ادخر لوقت الحاجة) لا تبذر في الاستهلاك، خير الأمور أوسطها وغيرها من حكم وأمثال وآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تحدد فكرة الاستهلاك وحجم الادخار.

أ- **العادات والتقاليد الاجتماعية:** هي مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الفئات الاجتماعية وداخل هذه الفئات والجماعات في مجرى النشاط المشترك وتنقسم العلاقات الاجتماعية إلى مادية تتشكل بصورة مستقلة عن حياة وعي الأفراد وإدراكهم وإلى أيديولوجية تظهر على أرضية الأفكار الاجتماعية التي تعكس مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية وتظهر على شكل أفكار سياسة وقانونية وأخلاقية ودينية.

ب-**الدين والاستهلاك الاجتماعي:** لقد نظم الدين الإسلامي الإنفاق الاستهلاكي بشكل واضح فمنع الإسراف ودعا للتوسط في الإنفاق قال تعالى :﴿ وآت ذا القربى حقه والمساكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرًا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾...(الإسراء:26)

ولقد ربط الإسلام الاستهلاك بظروف المجتمع وحدد طرقه وأهدافه:

- يجب على الفرد إشباع الحاجات الفردية (طعام ومسكن ولباس . . . .)؛
- إشباع الحاجات شبه الفردية؛
- استهلاك الطيبات لمن كان دخله مرتفعًا؛
- قال تعالى:﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾(الأعراف:32)؛
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) رواه الترمذي»

إن الإسلام بهذه الحالة يربط الاستهلاك بالدخل فكلما ارتفع الدخل يزداد استهلاك الفرد من السلع الكمالية ولا يجوز التقشف أو البخل لمن لديه الإمكانيات والظروف المناسبة وكانت السمة الأساسية للاستهلاك هي التوسط في الإنفاق.

ج- **الثقافة الإجتماعية:** هي مجمل ألوان النشاط التحويري للإنسان والمجتمع وكذلك نتاج هذا النشاط وتقسم الثقافة إلى قسمين:

- **الثقافة المادية:** وتتضمن أساليب إنتاج الخيرات المادية؛
- **الثقافة الروحية:** وتتضمن كافة أشكال الوعي الاجتماعي (الفلسفة الأخلاق العلم الدين . .).

إن عناصر الثقافة المادية والروحية وثيقة الارتباط ببعضها البعض وتضرب جذورها في التاريخ وهي حصيلة المعارف التي طورها الإنسان، فالإنسان يسعى لتغيير الوسط الطبيعي الذي يعيش فيه باتجاه الأفضل ومع هذا التغيير تتطور العادات والتقاليد وأنماط الاستهلاك.

ثالثا: أنواع الاستهلاك

للاستهلاك عدة أنواع أهمها:

- **الاستهلاك النهائي:** هو استعمال مادة لهدف سد حاجة بشرية، هذه العملية تعني الانقراض المباشر أو الاهتلاك التدريجي والمستمر للمادة؛
- **الاستهلاك الوسيطي:** هي تلك المراد المستهلكة والتي تنعدم خلال استعمالها في نمط الإنتاج، إما عن طريق الإدماج في مواد أكثر تطوير مثل المواد الأولية، وإما تنقرض داخل نمط الإنتاج.
- **الاستهلاك الفوري:** يقصد به الاستخدام الكامل للسلعة بمجرد استخدامها مرة واحدة .
- **الاستهلاك التدريجي:** قيام الشخص أو المستهلك باستخدام السلعة عدة مرات قبل انتهائها.
- **الاستهلاك الفردي:** هو قيام كل شخص على حدا باستخدام المنتجات المختلفة.
- **الاستهلاك الجماعي:** هو عملية استخدام المنتجات المختلفة من قبل مجموعة من الأفراد.

رابعا: ترشيد الاستهلاك

الترشيد هو عبارة عن الاستخدام الأمثل للمال وسد الحاجات والتوازن والاعتدال في الإنفاق والاستقامة في تحقيق مصلحة الإنسان وعدم البغي أو الشطط في البذل، والاستقامة على الحق، والهداية إلى طريق الرشد والخير والصلاح.

لأن هناك حالات مثل الرواج والكساد تؤثر تأثيرا إيجابيا وسلبيا على الإنفاق الاستهلاكي، ففي أثناء الرواج يزدهر الاقتصاد، حيث تتوفر فرص العمل، مما يؤدي إلى زيادة حجم الإنفاق الاستهلاكي والاستثماري، وينموا تبعا لذلك الحجم الحقيقي للإنتاج الكلي.

أما في فترات الكساد فيتباطأ معدل نمو كل من الإنفاق الاستهلاكي والاستثماري، وتنعدم الفرص الجديدة للعمل وتزداد نسبة البطالة، وتتولد الأزمات المالية وتفقد البنوك قدرتها على أداء دورها بنجاح، وبالتالي يتسبب ذلك في تخفيض الإنتاج الحقيقي عن المستويات الممكن تحقيقها.